الفصل الثاني

السيدة عائشة الباعونية: حياتها ومنهجيتها وجهودها العلمية والأدبية

(٨٦٤هـ-٩٢٢هـ/ ١٤٦٠-١٥١٦م)

سعيد بواعنة

دكتوراه في الحديث النبوي الشريف وعلومه، أستاذ مساعد في كلية الشريعة، جامعة اليرموك/ الأردن

saedbawaneh@yahoo.com

المقدمة

انطلاقاً مما نَهزَ المعهد العالمي للفكر الإسلامي له نفسه، بدراسة التحولات الفكرية في العالم الإسلامي ما بين القرن العاشر إلى الثاني عشر الهجري/ السادس عشر إلى الثامن عشر الميلادي - بهدف فهم مسيرة الإصلاح، والكشف عن جُهود النهوض الحضاري في تاريخ الأمة، واستلهام دروس هذه المسيرة، وتوظيفها في فهم الواقع المعاصر وسبل النهوض به، من خلال دراسة جادة ومراجعة موضوعية للجهود الإصلاحية والنهضوية المتمثلة بالعلماء والحركات الفكرية؛ انطلاقًا من ذلك كلّه، جاءت هذه الدراسة التي وسمتها بـــ «السيدة عائشة الباعونية؛ حياتها، ومنهجيتها وجهودها العلمية والأدبية».

وتسعى الدراسة إلى تحقيق أمور متعددة من أهمها:

- التعرف على شخصية هذه المتصوفة التي كانت من أبرز نساء القرنين التاسع والعاشر الهجريين، علماً وفقهاً وشعراً وأدباً.
- الوقوف على مؤلفاتها؛ إذ عرفت بكثرة تآليفها التي ربت على عشرين مصنفاً في علوم شتى، منها ما هو في التصوف، والفقه، والسيرة النبوية، وعلوم العربية من نحو ولغة.
- التعرف على منهج التصوف الذي اختطته الباعونية لنفسها طريقاً يوصلها إلى محبة الله تبارك وتعالى، ومحبة رسوله عليه الصلاة والسلام.
- عرض نماذج متعددة من شعر الباعونية؛ وما يتضمنه شعرها من شعور تلك الشخصية على نحو يمكننا من الوقوف على محطات رحلتها الصوفية، وإبراز لواعج نفسها، بغية رسم صورة متكاملة عن جوانب شخصيتها.

تُعدُ عائشة الباعونية مصدراً معرفياً ثرّاً للدارسين والباحثين وقد تناولتها دراسات عدة، غير أنها لم تكن لتستوفي جهودها على نحو جيد، فمعظم مؤلفات الباعونية ما تزال مخطوطة، ولم تتح لها فرصة الظهور للعيان، الأمر الذي يجعل المجال واسعاً للباحثين والدارسين لأن يدلوا بدلوهم، فمن الدراسات التي عقدت لها:

- دراسة الدكتور حسن ربابعة: عائشة الباعونية شاعرة. حيث انصب اهتمام الدارس فيها على إبراز شاعرية الباعونية.
- دراسة فارس أحمد العلاوي: عائشة الباعونية أشهر أعلام دمشق أواخر عهد المماليك. وهي دراسة عرضت لمصنفين من مصنفات الباعونية هما: «بديعية الفتح المبين» و«المورد الأسنى»
- دراسة محمد قنديل: عائشة الباعونية، حياتها وأدبها. عرض الدارس فيها للباعونية بوصفها أديبة ذات كتابات نثرية وشعرية.

ولكنّ أحداً لم يخصَّ عائشة الباعونية الصوفية الزاهدة

بدراسة مستقلة، مع أنّ أشعارها تشي بذلك، وربمّا كانت أكبر عقبة حالت دون قيام مثل هكذا دراسة، هو أنّ ديوانها الموسوم بـــ«بفيض الفضل» ما يزال مخطوطاً إلى يومنا هذا، وكذلك كون مجموعة كبيرة من كتبها في التصوف ما تزال مخطوطة ويمكن أن نضيف سبباً ثالثاً لا يقل أهمية عن سابقيه، وهو نفور كثير من الناس من التصوف، لكونه قائماً على بدع ومخالفات لا تمت للدين بصلة.

أولاً: اسمها ونسبتها ومولدها وأسرتها

هي عائشة بنت القاضي يوسف بن القاضي أحمد ابن ناصر بن خليفة بن[١] فرج بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن المسلماني الشهيرة بـ «بنت الباعوني»[٢] وكنيتها «أم عبد الوهاب».[٣]

اشتهرت عائشة بـــ «الباعونية» نسبة إلى بلدة باعون في عجلون، وباعون هو اسم راهبة سميت به البلدة. يقول المقريزي: «وباعون على اسم راهبة اسمها باعونة كانت تقيم في دير، فلمّا أزيل الدير وعُمِلَت القرية مكانه عرفت به».[٤]

ولدت السيدة عائشة الباعونية أغلب الظن في صالحية دمشق عام ٨٦٤هـ، وتنسمت عبيرها ودرجت على مرابعها، فكانت تتألم على فراقها وهي في منأى عنها في القاهرة. تقول في ذلك:[٥]

حنيني لسفح الصالحية والجسر
أهاج الهوى بين الجوانح والصدر
ألا ليت شعري والأماني كثيرةٌ
أأبلغ ما أرجوه قبل انقضاعمري؟
وهل أَرِدَنْ ما في «يزيد» وأجتلي
محاسن ذاك السفح والمرج والقصر

لقد حنّت عائشة الباعونية إلى مسقط رأسها؛ إلى الصالحية مسكن الصالحين من المقادسة، وإلى الزوايا الصوفية فوق الروضة بجبل قاسيون الذي يقع غربي الصالحية التي أنشئت في القرن السابع الهجري؛[٦] «ففيها زوايا تعبديّة وتصوفيّة وتغصّ بسبعين مسجداً يُسبّحُ لله فيها بالغدو والآصال، والذي يقع أحدها أسفل زقاق البواعنة.»[٧] لقد حنت السيدة الباعونية إلى نهري دمشق؛ نهر يزيد ابن معاوية ونهر (ثورا) نسبة إلى الأمير ثورا قبل الإسلام.. لقد اشتاقت إلى مياههما الرقراقة التي توشح الصالحية ثياباً سندسية ليل نهار، حنّت إلى آبارها السبع والثلاثين[٨] التي كانت ترفهها بالعذب الفرات.

كيف لا تحنّ عائشة الباعونية إلى الصالحية وقد كان والدها مدير البيمارستان الذي تحسنت بإدارته حالتهُ فنمّا أوقافه، وكان قاب قوسين أو أدنى منها تعالج فيه إن مرضت. وكيف لا تشتاق إلى الصالحية ومدارسها الثلاث، والتي كانت تسهل مهمة التعليم، وكان والدها مدرساً ومستقلاً ببعضها[٩] فتحسن دخله بعدما كان يعاني من ضيق ذات اليد.

لقد زعم صاحب كتاب (القافلة المنسية): أنّ عائشة الباعونية ولدت في باعون فقال: "ونفهم من كلام الغّزي أنّ أهلها أخذوها من جبل عجلون إلى مصر فنالت من العلم نصيباً."[١٠] وبعد مراجعتي لنص الغّزي الذي احتج به صاحب كتاب (القافلة) وجدت أنه لا صحة لما أورده واستنتجه، فالغزي يقول: "ثمّ حملت إلى القاهرة ونالت من العلوم حظاً وافراً، ثمّ أجيزت بالإفتاء والتدريس،"[١١] و لم تكن الباعونية تعيش في باعون عجلون ليفهم من كلام الغزي أنّهم أخذوها منها إلى مصر، أو أنّ حملها إلى القاهرة لا يكون إلا من باعون.

تنتسب عائشة الباعونية إلى بيت علم وفضل، شبّ فيه الأدب وترعرع فيه الفقه، ونما في جنباته زهد، وتصوف، ودارت على جلسات موائده أحكام الفقه والفتيا ؛ كان أبوها وجدّها قاضيين، أمّا عمّاها إبراهيم ومحمد وعمهما إسماعيل،[١٢] وأخواها محمد وأحمد،[١٣] فكانوا من نوابغ العلماء في الفقه والحديث والتصوف والتاريخ والأدب، فنهلت من حياضهم واغترفت من علومهم الشيء الكثير، فهي فقيهة بنت فقيه بن فقيه.

ثانياً: نشأتها العلمية ومشايخها وحياتها الزوجية

نشأت الباعونية في بيت علم وفقه وأدب وقضاء ووجاهة، وربما كان بعض أفراد أسرتها أساتذتها الأوائل، جرياً على سُنَّة التدريس الباعوني، فجدّها أحمد تتلمذ لأخيه إسماعيل الصوفي في صفد،[١٤] وأخوها محمد وأحمد تتلمذا لعمهما البرهان الباعوني إبراهيم.[١٥] لقد حفظت عائشة الباعونية القرآن الكريم ولها من العمر ثماني سنوات، تقول

في ذلك: "أهَّلني الحقّ لقراءة كتابه العزيز ومنّ عليّ بحفظه على التمام ولي من العمر ثمانية أعوام".[١٦] ثمّ تنسّكَتْ على يد إسماعيل الخوارزمي، ثمّ على يد خليفته المحيوي الأرموي.[١٧] تقول:"وجعل تربيتي ومحوي وتصفيتي على يد مدد سلطان الأولياء في دهره وتاج الأصفياء في عصره جمال الحق والدين السيد الجليل أبي الأقطاب قطب الوجود، إسماعيل الخوارزمي قدس الله سره ورضي عنه".[١٨]وقد اكتفت السيدة الباعونية بالدعاء لشيخها يحيى الأرموي، نثراً، وكذلك شيخها الذي حظي بالدعاء الوافر في شعرها، ثمّ حملت إلى القاهرة ونالت حظاً وافراً وأجيزت بالإفتاء والتدريس،[١٩] تتلمذت على يد أحمد القسطلاني (ت٩٢٣هـ) المقرئ صاحب التصانيف الكثيرة.[٢٠]

وتزوجت السيدة عائشة الباعونية من ابن نقيب أشراف دمشق؛ أحمد بن محمد ابن أبي بكر بن علي بن إبراهيم الذي ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب،[٢١] وكان زواجها نحو عام (٨٩٦هـ) ورزقت منه بمولود ذكر اسمه عبد الوهاب عام (٨٩٧هـ) وبمولودة أنثى اسمها بركة عام (٨٩٩هـ)؛ ولقد سطّرت الباعونية نسب زوجها وولديها على آخر صفحات كتابها المسمى (المورد الأهنا) وسبب ذلك أنّها قصدت التبرك بمولده عليه الصلاة والسلام تقول: "استخرت الله تعالى في تسطير مولد عبد الوهاب وأخته بركة في هذا الكتاب تبركاً بمولده صلى الله عليه وسلم."[٢٢]

وكان ولدها عبد الوهاب نقيب أشراف دمشق، فجادت به الباعونية ليكون خادماً للحمى النبوي الخالد، لكن لم يرقْ لها أن يكون ولدها عبد الوهاب كعامة الأشراف يجرى عليه من العطايا ما يُجرى على عامتهم من مخصصات الأوقاف مالاً وجاهاً، بل أرادته إمامهم وسادن نقابتهم. وتأجج طموحها بعد أن بلغ ابنها سنّ الرشد وتجاوز عشرين ربيعاً من عمره فأزمعت على مقابلة السلطان قانصوه الغوري في القاهرة عام (٩١٩هـ)، وفي حلب عام (٩٢٢هـ) وقد تسنى لها ذلك على يد البدر السيوفي وتلميذه السفيري -وهما من قادة الشراكسة؛ كان الأول منهما نائب قلعة حلب في الفترة (٩١٥هـ ٩٢٢هـ)- وكانت غايتها من المقابلة التذكير بحق ولدها عبد الوهاب في أن يكون نقيب أشراف دمشق، ولكن انشغال السلطان بمحاربة بني عثمان حال دون تحقق بغيتها، وكانت قد ندبت محمود بن أجا الحلبي لقضاء حاجتها بعد أن " خرجت من دمشق متوجهة إلى القاهرة، ولمّا دخلت القاهرة ندبت إلى قضاء حوائجها... فأكرمها وولدها كأنه طالب مددها، وأنزلها عند الحريم وجعل حماه لها أيّ حريم، وكانت مدحته بقصيدة.[٢٣]

وكانت رحلتها إلى مصر وبالاً على مؤلفاتها، فقد أصيبت في كلّ شيء كان معها من مؤلفاتها ومنظوماتها «أو أنها أصيبت على الأقل» بشيء كان معها من مؤلفاتها «وتعزى الإصابة اختلاساً لأنها قالت: "...واستمر {التخميس تخميس البردة} مندرجاً في طي مالي من منظوم ومنثور إلى أنْ قدّر الله اختلاسه مع كتب ألفتها وحقائق من فتوحات الله تلقيتها، واتفاق ذلك كان في رحلتي إلى الديار المصريّة بمنزلة يقال لها بُلبيس من نواحي القاهرة المعزيّة."[٢٤]

ثالثاً: رحلاتها الدينية ومؤلفاتها ووفاتها

لم تقصر الباعونية رحلاتها على منافع دنيوية فحسب، بل قامت برحلات دينية متعددة إلى البلاد المقدسة ؛ فحظيت بزيارة الكعبة المشرفة وجاورتها. تقول في ذلك: "ولما منّ الله سبحانه وتعالى برؤية الرسول صلى الله عليه وسلم، وكنت إذ ذاك مجاورة بمكة المشرفة زادها الله شرفاً وتعظيماً، حصل لي عارض منعني.. بتقدير الله تعالى وإرادته عن النزول إلى الحرم الشريف، وكانت ليلةَ الجمعة، فاضطجعتُ على سرير برواق مطلّ على الكعبة المشرفة والحرم المعظم، واتفق أنّ بعض المجاورين قرأ مولد الرسول صلى الله عليه وسلم وارتفعت الأصوات في الصلاة عليه ...إلى أن غلبتني عيناي، فرأيت كأني بين جماعة من الناس، وإذا قائل يقول: أقبل النبي صلى الله عليه وسلم، فحصلت لي هيبة غيّبتني عن وجودي حتّى مرّ النبيّ صلى الله عليه وسلم أمامي، فشرعت أقول ولساني يتلجلج برسول الله يا سيدي: أسألك الشفاعة، فسمعته يقول: أنا الشفيع في القيامة بترسل وترسيل."[٢٥]

وزارت الباعونية مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام

ومسجده وقبره. تقول في ذلك:

قد جئتُ أهْي قصتي لشفيعي
بتذللي وترفقي وخضوعي[٢٦]

وناجته من باب حجرته عليه الصلاة والسلام:

والآن قد وافيت بابك سيّدي
لتكون لي عند الإله شفيعي[٢٧]

ونجدها تتذلل علىٰ عتباته المقدسة:

يا سيد الرّسل قد جاءتك جارية
مسيئـــــة ذات آثام وأوزار
أشكو إليك ذنوباً قد كسيتُ بها
بين الخلاق أثواباً من العار[٢٨]

ولكن مما تجدر الإشارة إليه أنّ المصادر التاريخية لم تحطنا خبراً بزمن الزيارة ومدتها ومن رافقها وأين أقامت، وكذا فقد سكتت السيدة الباعونية عن إخبارنا بذلك.

كانت الباعونية صاحبة قلم سيّال وذهن متوقد وقريحة صافية، الأمر الذي جعلها تترك لنا عدداً غير قليل من الكتب والرسائل النثرية والشعرية، التي كانت منصبّة -في الغالب- علىٰ موضوع التصوف ومديح المصطفىٰ صلىٰ الله عليه وسلم، ومن مؤلفاتها المطبوعة:

١- بديعية «الفتح المبين في مدح الأمين»، وشرحها.[٢٩] وهي مطبوعة علىٰ هامش خزانة الأدب لابن حجة الحموي في مصر سنة ١٣٠٤هـ، وقد ضمَّنها الشيخ عبد الغني النابلسي شرحه علىٰ بديعيّته المسماة «نفحات الأزهار علىٰ نسمات الأسحار في مدح النبي المختار».

٢- مولد النبي. وهو ليس «المورد الأهنا في المولد الأسنىٰ» كما يقول خير الدين الزركلي،[٣٠] وقد طبع هذا المؤلف في دمشق بالمطبعة الحنفية سنة ١٣٠١هـ وعدد صفحاته (٥١) صفحة من القطع الصغير، ويشتمل علىٰ شعر ونثر في مدح الرسول الكريم صلىٰ الله عليه وسلم.

٣- المورد الأهنا في المولد الأسنىٰ "وهو كتاب شعر ونثر ذكرت فيه أستاذها الحواري وكذا الشيخ محيي الدين الأرموي، وقد تضمن سبعة فصول في كون النبي عليه الصلاة والسلام أول الأنبياء وأعلامهم بنبوته وما أخبرت عنه الأحبار والرهبان، وطهارة نسبه وبركة حمله، وآيات مولده ورضاعه وآيات جماله وبهائه، ونبذة عن أخلاقه، وانتقال روحه الشريفة إلىٰ الحضرة المنيفة".[٣١]

ولعائشة الباعونية عددٌ من المؤلفات المخطوطة:

- فيض الفضل وجمع الشمل: وهو ديوان شعرها.قالت في خطبة الديوان المخطوط: "فهذا كتاب معانيه زُبَد ومداده مدد، سمّاه التوفيق فيض الفضل وجمع الشمل، يشمل المنظوم والمفتوح به في المناجاة الإلهية والمعاني اللدنية والأحوال الوهبية، والمعاناة الذوقية، والشؤون الشوقية والمذاهب العشقية، تعليلاً لمن أحرقه الشوق، وجذبه التـوق بالطوق، وجفاه الحبيب وأمرضه الطبيب."[٣٢]
- دور الغائص في بحر المعجزات والخصائص. وهو مخطوط اشتمل علىٰ قصيدة رائية عدد أبياتها ألف وسبعمائة وأربعون بيتاً، وتحتوي علىٰ ذكر صفات الخالق عزّ وجل، وصفات رسوله الكريم، شاملة معجزاته وشفاعته. وهو مخطوط في دار الكتب المصرية مكون من تسع وستين ورقة. يقول الدكتور حسن الربابعة: «أشار إلىٰ مؤلفها هذا عدد من أصحاب التراجم والباحثين، غير أنّ أحداً لم يشر إلىٰ مكان المخطوط من قبل، كما أنّ أحدا فيما أعلم لم ينشر شعراً منه، وقد اطلعت علىٰ مخطوطها هذا في دار الكتب، ونسخت أبياتاً كثيرة منه لتعذر تصويره». ومطلع القصيدة:

أقول وفيض الفتح لي قد تيسرا
وسرٌّ اعتنا طه بسري قد سرىٰ[٣٣]

- ديوان عائشة الباعونية: وهو يتضمن ستّ قصائد نبوية في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام، إحداها تخميسة علىٰ بردة البوصيري، وقصيدتان بديعيتان شرحت إحداهما، وهو الشرح نفسه الذي طبع علىٰ هامش خزانة الأدب للحموي، وقصيدة « لوامع الفتوح في أشرف ممدوح، وقصيدة نفائس الغرر في مدح سيد البشر، وقصيدة فتوح الحق في مدح سيد الخلق».[٣٤]
- مجموع في كلام السيدة عائشة الباعونية في التصوف:

وهو مخطوط بدار الكتب المصرية يتضمن شعراً ونثراً في التصوف، وفيه كلام عن فضائل التوبة وأقسامها، وتعريف مصطلحات الصوفية. وأدرجت فيه أقوال كثير من الصوفية كرابعة العدوية والخزّاز وابن عطاء الله السكندري وغيره. واشتملَ المخطوط بعض أشعارها في التصوف في ورقات كثيرة أهمها ورقة (٥) وورقة (٢٢).[٣٥]

- فتوح الضراعة في الصلاة علىٰ صاحب الشفاعة: وهي قصيدة دينية تثني علىٰ الخالق عز وجل الخير، وتناجيه بأسمائه المقدسة المتعددة، وتصلّي علىٰ رسوله الكريم، بأسمائه وصفاته الكريمة وقد اختتمت بها «المورد الأهنا».[٣٦]
- فتح المجيب بمتعلقات قوله تعالىٰ: (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب) ويتضمن أدعية، ويوجد منه ورقتان مع مخطوط المورد الأهنا، وهما (ورقة ٢١٨) وورقة (٢٢٦).
- كيفيات الصلاة علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم، وهو جزء جامع أثبتت فيه كيفيات الصلاة علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم ليكون لها وللمسلمين ذخيرة. وهذا المخطوط مقرون في مجموع مع مخطوط المورد الأهنا كسابقه.

ولعائشة الباعونية عدد من المؤلفات المفقودة، ولا نعرف إلا أسماءها وهي:

- الزبدة في تخميس البردة. وهو شعر قد أشارت إلىٰ فقده في كتاب "فيض الفضل" ورقة (٢٢٨)، وهو غير قصيدة "القول الصحيح في تخميس بردة المديح" الواردة في ديوان الباعونية ذي القصائد الست ورقة (٣٩).
- تشريف الفكر في نظم فوائد الذكر. مذكور في ديوان الباعونية ورقة (٢٢٨).
- الفتح القريب في معراج الحبيب. مذكور في ديوان الباعونية ورقة (٢٢٨).
- صِلاتُ السلام في فضل الصلاة والسلام. وهو أرجوزة بهيّة لخصت فيها القول البديع في الصلاة علىٰ الحبيب الشفيع للسخاوي.[٣٧]
- الإشارات الخفية في المنازل العليَّة. وهي أرجوزة صوفية اختصرت فيها منازل السائرين للعارف بالله الهروي [٣٨]
- كتاب «مدد الودود في مولد المحمود».[٣٩]
- الملامح الشريفة من الآثار اللطيفة. وهو شعر يشتمل علىٰ إنشادات صوفية ومعارف ذوقية.[٤٠]
- المنتخب في أصول الرتب.[٤١]
- القول البديع في الصلاة علىٰ الحبيب الشفيع. وهي أرجوزة لخصت فيها القول البديع في الصلاة علىٰ الحبيب الشفيع للسخاوي، ومنها انتقت الخاتمة[٤٢]
- المعجزات والخصائص النبوية. منظومة من كتاب السيوطي كما يذكر بروكلمان.[٤٣]
- الفتح الحقي من فيح التلقي.وهو شعر يشتمل علىٰ كلمات لدنية في معاني سنية.[٤٤]

وأود أن أشير هنا إلىٰ أنّه لربما تكون هذه الكتب المفقودة هي التي سرقت من السيدة في أثناء سفرها إلىٰ مصر كما سلف بيانه، ولذلك قامت بإثبات أسمائها في كتاب فيض الفضل علىٰ سبيل حفظ الحق لها فيها فيما لو عثر عليه في قابل الزمان، وربمّا كان هذا الصنيع منها هو من أساليب حفظ حقوق التأليف، والله أعلم.

ويكاد أهل التأريخ يجمعون علىٰ أنّ وفاة السيدة الباعونية كانت سنة ٩٢٢هـ،[٤٥] ولكنّ ابن طولون خالف ذلك فقال إن وفاتها كانت سنة ٩٢٣هـ يوم الاثنين سادس عشر من ذي القعدة. ودفنت بأعلىٰ الروضة فيما يقوله تلميذها ابن طولون نفسه.[٤٦] وقد اعترض محمد قنديل في كتابه «عائشة الباعونية حياتها وأدبها» علىٰ رأي ابن طولون محتجاً بأنّ ابن طولون كان يشطب بعض ما يؤرخ. ونجد الدكتور ربابعة يرجح رأي ابن طولون مستنداً إلىٰ أسباب عدّة، منها: أنّ الغزي نفسه كان يروي بعض أشعارها عن ابن طولون نفسه. وأن ابن طولون كان أحد تلاميذها، وقد يتحرىٰ التلميذ أخبار أساتذته عادة. وأنّ ابن طولون كان معاصراً لها، وقد توفي قبل أن يولد الغزي وابن العماد الحنبلي اللذان يؤرخان لوفاتها.[٤٧] وأنا أميل في الرأي إلىٰ ما قاله الدكتور ربابعة، فحجته أمكن وأقوىٰ، والله المستعان.

وقبرها في بستان الشلبي في منطقة «زقاق طاحونة الأحمر» من ضواحي دمشق.[٤٨]

رابعاً: أسباب تصوف الباعونية والكشف عن منهجها فيه

عرفنا فيما سبق أنّ السيدة الباعونية نشأت في بيئة

علمية فريدة، فكان الوسط العلمي مساعداً لها في الارتقاء في سلَّم العلوم والفتوحات الربانية، فدخلت باب التصوف باقتدار، وغاصت في أسراره، فارتوت من كأس المحبة الرحمانية والنبوية، لتصبح بعدها من كبار أهل التصوف في زمانها.وقد ارتسم في أشعارها وكتاباتها النثرية، وسرىٰ في أوصالها حبّ الله وحب رسوله عليه السلام كأبهىٰ ما يكون الحب.

ويمكن أن نعزو انخراط السيدة الباعونية في سلك أهل التصوف للأسباب الآتية:

- أنّ الله سبحانه وتعالىٰ أنزل في كتابه العزيز – وهي من حفظته – شروط الحب بينه وبين عباده، فقال: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) (آل عمران ٣١).
- أن الحقّ تبارك وتعالىٰ قد أوجب حبّه علىٰ من آمنوا، فقال: (والذين آمنوا أشدّ حبّا لله) (البقرة ١٦٥).
- تبادلية المحبة بين العبد وربه؛ إذ يقول عز من قائل: (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبّونه) (المائدة ٥٤).

ومن هنا فقد التزمت الباعونية بأمر الله تعالىٰ والتذَّت بحبه عزّ وجل، وسلكت درب الصفاء الذي يوصل إليه، لأنه كما يقال: " ليس للقلب والروح ألذّ ولا أطيب من محبة الله والإقبال عليه ...وإنّ مثقال ذرة من هذه اللذة الروحية لا يُعدَلُ بأمثال الجبال من لذات الدنيا".[٤٩]

- أنّ طريقتها الصوفية الجيلانية تشترط علىٰ منتسبيها أن يكونوا علىٰ عقيدة السلف الصالح والسنة الصافية النقية.
- البيئة الدينية المتفقهة التي ترعرعت في أحضانها وبخاصة أنّ أخا جدّها إسماعيل بن ناصر كان زاهداً متصوفاً.[٥٠]

لقد نهجت الباعونية طريقين بغية الوصول إلىٰ الله تعالىٰ، هما:

أ- القادرية الجيلانية، فهي ترىٰ أنّ الطريقة القادرية هي مدد من الرسول الكريم، فسلكت دربها وامتدحت أشياخها، فقالت:

وتمنّ بالعطف الجليل عليّ من
أهل الولاء فيسعفون ويجبروا
وبالخصوص إمامهم وكبيرهم
العارف القطب السماكُ الأفخر
محيي لدينك الدين عبد قادر اسمه
وبأرض جيلان الوسيمة يشهر
ذخري جمال إسماعيل الذي
عزّ الكبارُ بمدحه وأقرر[٥١]

ب- المجاهدة والمكابدة ؛ فنجدها تتخذ من مجاهدة النفس ومكابدة البعد وشدة الشوق مسرباً إلىٰ الله: فتبث، زفرات ألم شديد من معاناتها من آلام الحب الصوفي وهواه، فتقول:

ومالي طاقة بالعبد عنه لا ولا أقوىٰ
ودمعي في الهوىٰ هام وقلبي بالجوىٰ يشوىٰ
وبين أضالعي نارٌ بها حشو الحشا يكوىٰ[٥٢]

فطريقها في حبها لله ليس طريقاً سهلاً ممدوداً بالبسط الخضراء، بل إنّ العقبات تكتنفه، فيكاد الجوىٰ؛ أي البعد أن يشوي قلبها، ونرىٰ نار الشوق تتوقد في أحشائها، وأنها قد تغلغلت بين ضلوعها.

ثمّ يقوىٰ عود مجاهدتها وتنهض بعزيمة لسمو غايتها ونبل هدفها، فنراها تمزأ من حبّ العنصر البشري، وتخترق ذلك كلّه نحو حبّ الخالق تبارك وتعالىٰ، فتقول في ذلك:

فقربي منه جلّ القصد ثمّ غايتي القصوىٰ
وما قصدي به إلا عليم السر والنجوىٰ
إله واحد صمد لكل الخلق قد سوىٰ
فمنه أرتجي الزلفىٰ بدار الخَلْفِ والمأوىٰ[٥٨]

ويلاحظ في منهج المكابدة أنّ عائشة الباعونية تكتفي بوصف أحوالها ومكابداتها فلا تذكر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، علىٰ غير عادتها في قصائدها الأخرىٰ، وهو ملحظ يشي بأنّ طريق المكابدة الصوفية الباعونية طريق يقودها إلىٰ الخالق عز وجل مباشرة، دون أن تتوقف حتىٰ عند رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، تستشفع به ليكون واسطة بينها وبين خالقها.[٥٩]

وتمر علىٰ الباعونية في طريق تصوفها في أحوال عدة:[٦٠]

- البسط: وهو وارد يوجب الإشارة إلىٰ رحمة.
- القبض: وهو حال الخوف في الوقت.
- التجلي: وهو ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب.

وفي ذلك تقول:

وتغيثني بفيـح لطـفٍ تجلـي
يا إلهي عني غيوم غمومي
وبسطٍ يزيـل عنّي قبضـي
ويسر يميط كلّ همومي[٦١]

ونرىٰ أنّ مفهوم الحال عند السيدة الباعونية مختلف عن مفهوم المقام ؛ إذ المقام أسمىٰ من الحال، لأنّ « الحال معنىً يرد علىٰ القلب من غير تصنّع ولا اجتلاب ولا اكتساب، فإذا دام الحال سمّي مقاماً، فالأحوال مواهب والمقامات مكاسب، والعبد بالأحوال يرقىٰ إلىٰ المقامات[٦٢] وقد رددت الباعونية هذا الاصطلاح شعراً في إحدىٰ حالاتها:

كـلّ حـال يتحـول ليـس لي فيـه حاجه
وإذا صـار مقـامـا خفتُ يـاربّ علاجه
وإذا قـدّرتَ منهـا لـي قسمـاً لنتاجه[٦٣]

وإذا تأملنا إلىٰ مقام الصبر عند الباعونية وجدنا الوجد يأخذ منها مأخذاً شديداً، ويكاد صبرها ينفد، ولأجل ذلك نجدها تستعطف الله جل وعلا وتتوجه بالرسول الكريم إليه أن يثبتها علىٰ الدرب:

مـالك الملك سيـدي هل لهذا الهجر من أمد ؟
يتقضّـىٰ فينقضـي مـا ألاقـي مـن الكمد
قد عصانـي تصـبري مثـل مـا خانني الجلد
قد تحـيرت دلـني يـا إلهـي علىٰ الرّشد
بحبيـبي محمـد خيـر عبد لكم سجد[٦٤]

وتتشوق الباعونية للشرب من الخمرة الإلهية، فتشعر بالسعادة وترىٰ جمالاً باقياً في دنيا غير دنياها:

بشريف ذكر الواحد الخلاّق
لذّذ فـؤاداً ذاب بالأشواق
وأعد وكرر ذكره يا مطربـي
وأدر سلافـة حبّـه يـا ساقي
ولكم بها قد عاش بعد مماته
حبّ وكم قد مات مـن عشّاق
فمتىٰ أنل منها رواء موصلاً
لفنائي في ذاك الجمال الباقي[٦٥]

وفي مقام « الفيض » يملك حبّ الله تعالىٰ جماع قلبها، فليس هناك مجال لحب غير الله، شأنها في ذلك شأن رابعة العدوية التي تأثرت بها، فتقول:

قلـب تفرّغ للحبيب جميعـه
ولغيره لا يستطيع فراغـا
نزل الحبيب به فأصبح غامراً
للوصل ما للغير فيه مساغـا
خلصتموه لكم فأصبح صافيـاً
وصبغتمـوه بالوفا أصباغـا
وملكتمـوه بالجمال وقد قضىٰ
بالفيض أن يكتب عليه داغا[٦٦]

ونجد الباعونية تحلق في مقام المشاهدة، فترىٰ حسن حبيبها الخالق ماثلاً أمامها لا يغادرها طرفة عين:

مـا أرىٰ غـير حبيـبي
في حضـوري ومغيـبي
كيف لا أشهده عنـدي
دائماً هـو نصيـبي[٦٧]

أمّا منهجها في عبادتها لله تعالىٰ، فهو منهج الرغبة والرهبة، امتثالاً لقول الله تبارك وتعالىٰ: (إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً)(الأنبياء آية ٩٠).

أما الرغبة فلأنّ نعم الله لا تحصىٰ، تقول:

كـم مـن منايح كـم نوال كم عطا
كم رحمة شملت ولم تتأخر
إنْ رمت أشكرها فشكري نعمـة
ولك الثنا والحمد فيما أشكرِ[٦٨]

وأمّا الرهبة، فلأنها تخشىٰ من ذنوبها وكثرة عيوبها التي لا تعدّ ولا تحصىٰ، وتتذلل أمام الخالق عزّ وجل فتقول:

قد جئت بابك سيدي بك أرتجي
منك الرضا ومعايبي لا تحصر
أبغي وصولاً بالقبول ووصلة
يصفو الوداد بها ولا يتكـدّر

وأريـد منك بأن « تردني » عبـدة
لك سيدي خلصت فلا تتغير[٦٩]

وفي غمرة وجدها، نجدها تطلق علىٰ الله تعبير «القطب العليّ» بما يحمله هذا التعبير من الدلالات الثرية،

فالقطب لغة هو السيّد وملاك كلّ شيء ويدور أمر الخليقة عليه كقطب الرحىٰ.[٧٠] وفي هذه التسمية تمييز له عن القطب الغوث الواحد، الذي هو موضع نظر الله من العالم.[٧١] ونراها تتوجه بذكر الرسول الكريم بين يدي الخالق؛ لأنّ الرسول الكريم بين يدي الخالق هو مدد أشياخ الطريقة «الأقطاب» فمنه يقتبسون المنهج:

يا أيها القطب العلي ... ببابكم قد وقفت
جارية مسيئة ... بذنبها اعترفت[٧٢]

وتقول في موضع آخر:

يا الله يا الله جذبه من الله ... أنا فيها قصدي من الله
تديم فتوحي ... من عبد القادر
محيي الطريقة ... قطب الأكابر
تاجي وفخري عند التفاخر ... سليل طه وخيرة الله[٧٣]

وتبلغ الباعونية مقام الفناء وتحلق في فضاءات العرفان اليقيني وتدعو إليه، فتقول:

يا من أفنىٰ في معناه ... كم معنّىٰ في هواه
جد لي جد لي ومتعني ... وجلدني بالعيان في اتصال
يا محبوبي يا مطلوبي ... يا مقصودي يا موجودي
كن لي كن لي واجبر كسري ... واغن فقري بالتدان والوصال
مجلي المظهر فيما أظهر ... أفنىٰ مني لمّا نوّر
ظلي ظلي واجردني ... وأفردي وأفناني بالجلال
غبتُ عني رحتُ مني ... زالت حجبي وافىٰ قربي
وصلي وصلي قد أدهشني ... وأنعشني وأحياني بالجمال
هذه الخمرة فيض المنان ... عند العرفان لها ندمان
أهلي أهلي وسادات ... وأحبابي وإخواني في أحوالي[٧٤]

خامساً: مدحها للنبي عليه الصلاة والسلام

لم تغفل عائشة الباعونية في مدرستها الصوفية مديح رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فقد نظمت في ذلك قصائد طوالاً يرددها فم الزمان مفتخراً. تقول في مقدمة ديوانها: «أما بعد فإنّ المديح النبوي الشريف شعار أهل الصلاح وسيما أهل الفلاح، وهو مما يتنافس فيه المتنافسون ويدأب فيه المخلصون، إذ هو من أعظم وسائل النجاح وسبب مضاعفة الأرباح.[٧٥]

ونجد الباعونية تطرق جوانب متنوعة في مديحها إياه منها: التشفع به عليه الصلاة والسلام إلىٰ الله تبارك وتعالىٰ:

وارضوا بها خادمة ... بقربكم قد أتحفت
وفي الرضا شفيعها ... إليكم إذا هفت
خير الأنام والذي ... له الجنّات أزلفت
عليه من ربي صلاة ... للهموم قد نفت[٧٦]

عشقها وشوقها للنبي صلىٰ الله عليه وسلم، كما في قولها في «القول الصحيح في تخميس بردة المديح»:

كتمت عشقي فأضحىٰ غير منكتم
بمدمع عند ميّ اللون منسجم
وقال صحبي ووجدي صار كالعلم
أمن تذكر جيران بذي سلم
مزجت دمعاً جرىٰ من مقلة بدم
أمن لواعج أشواق ملازمة
أمن شجون هوىٰ بالقتل حاكمة
أم من سيوف ملام فيك كالمة
أم هبت الريح من تلقاء كاظمة
وأومض البرق في الظلماء من إضم[٧٧]

كلامها عن معجزات الرسول صلىٰ الله عليه وسلم، وبخاصة معجزة القرآن الخالدة:

ومن معجزات المصطفىٰ واختصاصه
كتاب عظيم للألباء حيّرا
يقصّ علينا كلّ ما هو كائن
وما كان قد قضاه وقدّرا[٧٨]

وتقول عن حنين الجذع، وأنّ العرجون صار سيفاً، وتمتدح بركته حينما امتلئ ضرع الشاة بالحليب:

والجذع حنّ إليه عند فرقته
حنين عانٍ إلىٰ برد الوصال ظمي[٧٩]
وصار جذلاً فأضحىٰ صقيلاً
ومن العرجون قد لاح الضوي[٨٠]
وبيمن اللمس كم ضرع همىٰ
بحليب بعدما يبس وذوي[٨١]

تكثر الباعونية من الصلاة علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في ختام قصائدها:

إنّ الصلاة علىٰ النبي إلىٰ المعالي سُلّم

صلوا عليـــه توصلون وسلّموا كي تسلموا[٨٢]

وتقول في موضع آخر:

علىٰ المصطفىٰ الهادي أديموا صلاتكم
ليرجـــح ميزان وتمحىٰ جرائم
ويسهل من فوق الصـــراط مروركـــم
وتنجون من نار بها الحزن دائم[٨٣]

الخاتمة

تعد الشاعرة الصوفية عائشة الباعونية من أبرز النساء الصوفيات في القرنين التاسع والعاشر الهجريين/ الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، قامت بالعديد من الرحلات العلمية تنقلت خلالها بين بلاد الشام ومصر الحجاز، وجاورت في الحرمين الشريفين، وصنفت العديد من المؤلفات، منها ما نشر ومنها ما لم يقيض له النشر بعد والسمة العامة لهذه المصنفات هي السمة الصوفية، والشعر الصوفي الذي يفيض بالجد الإلهي مع طريقة المتصوفة، وتكلمت عن المجاهدات والأحوال، والبسط والقبض والتجلي، وعرجت علىٰ المقامات التي ارتقتها كالصبر والفيض والمشاهدة والغناء، كما حرصت علىٰ تضمين اشعارها ألواناً من الصلاة علىٰ رسول الله في صور متعددة تتشفع برسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وتارة تتشوق للقياه، وتارة أخرىٰ تتحدث عن معجزاته.

المراجع

(١) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. نظم العقيان في أعيان الأعيان، تحرير: فيليب حتّي، بيروت: المكتبة العلمية، ١٩٢٧م، ص١٧٨.

(٢) ابن الحنبلي، رضي الدين محمد. در الحبب في تاريخ أعيان حلب، تحقيق: محمود حمد الفاخوري، ويحيىٰ زكريا عبارة، دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٧٢م، ج١، ص١٠٦٠-١٠٦٩.

(٣) السيوطي، نظم العقيان في أعيان الأعيان، مرجع سابق، ص١٧٨.

(٤) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي. السلوك لمعرفة الدول والملوك، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، دار الكتب، ١٩٧٢م، ج٤، ص٢٧٧.

(٥) الغزي، نجم الدين محمد. الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، تحقيق: جبرائيل سليمان جبور، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٩٧٩م، ج١، ص٣٠٣-٣٠٤.

(٦) صفوح، خير. مدينة دمشق؛ دراسة في جغرافية المدن، وزارة الثقافة والسياحة، دمشق: وزارة الثقافة والسياحة، ١٩٦٩م، ص١٧٧.

(٧) ابن طولون، شمس الدين محمد الصالحي. القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، تحقيق: محمد أحمد دهمان، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨٠، ص١٩٢-٢٤٢، ٢٤٣-٢٥٥.

(٨) المرجع السابق، ص٢٦٦-٢٦٧.

(٩) المرجع السابق، ص٢٦٢.

(١٠) العودات، يعقوب. القافلة المنسية، القدس: المطبعة التجارية، ١٩٤١م، ص٣٥.

(١١) الغزي، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، مرجع سابق، ج١، ص٢٨٨.

(١٢) ابن الجزري، شمس الدين محمد بن محمد. غاية النهاية في طبقات القراء، عناية: ج براجستراسر، مصر: مكتبة الخانجي، ١٩٣٣م، ج١، ص٤٨٢، ٤٨٣.

(١٣) ابن طولون، شمس الدين محمد الصالحي. مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، القاهرة: وزارة الثقافة، ١٩٦٢م، ج١، ص٣٨.

(١٤) الغزي، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، مرجع سابق، ج١، ص٢٨٨.

(١٥) العسقلاني، أحمد بن علي. الغمر بأبناء العصر، بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢، ١٩٨٦م، ج٧، ص١٢٥.

(١٦) الغزي، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، مرجع سابق، ج١، ص٢٨٨.

(١٧) المرجع السابق، ج١، ص٢٨٨.

(١٨) الباعونية، عائشة بنت يوسف. فيض الفضل، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت الرقم شعر تيمور (١١٢) نسخة أحمد الماذني، ١٠٣١هـ، ورقة(٣)، نقلاً عن: الربابعة، حسن. عائشة الباعونية شاعرة، ط١، إربد: دار الهلال للترجمة، ١٩٩٧م، ص٤٥.

(١٩) الغزي، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، مرجع سابق، ج١، ص٢٨٨.

(٢٠) الزيات، أحمد حسن. تاريخ الأدب العربي، مطبعة الرسالة، ط١٠، د.ت، ص٣٩٨-٤٠٠.

(٢١) الباعونية، عائشة بنت يوسف. المورد الأهنا في المولد الأسنى، مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم (شعر تيمور ٦٣٩)، ورقة (٣٥٥-٣٥٦)، نقلاً عن: الربابعة، عائشة الباعونية شاعرة، مرجع سابق، ص٤٦.

(٢٢) الباعونية، فيض الفضل، مرجع سابق، ورقة(٣٥٥)، نقلاً عن: الربابعة، عائشة الباعونية شاعرة، مرجع سابق، ص٤٧. هذا و لم تعش ابنتها بركة أكثر من ثلاث سنوات.

(٢٣) المرجع السابق، ورقة(٢٠٨)، نقلاً عن: الربابعة، عائشة الباعونية شاعرة، مرجع سابق، ص٥٠.

(٢٤) الباعونية، عائشة بنت يوسف. القول الصحيح في تخميس بردة المديح ، ورقة(٢٠)، نقلاً عن: الربابعة، عائشة الباعونية شاعرة، مرجع سابق، ص٥٠.

(٢٥) الباعونية، المورد الأهنا في المولد الأسنى، مرجع سابق، ورقة(١٠٤-١٠٥)، نقلاً عن: الربابعة، عائشة الباعونية شاعرة، مرجع سابق، ص٥٣.

(٢٦) الباعونية، فيض الفضل، مرجع سابق، ورقة(٣١-٣٢)، نقلاً عن: - الربابعة، عائشة الباعونية شاعرة، مرجع سابق، ص٥٣.

(٢٧) المرجع السابق، ورقة(٣١-٣٢).

(٢٨) المرجع السابق، ورقة(٣١-٣٢).

(٢٩) ابن الحنبلي، در الحبب في تاريخ أعيان حلب، مرجع سابق، ص١٠٦١. انظر أيضاً:
- الحموي، ابن حجة. خزانة الأدب، القاهرة: المطبعة الخيرية، (د.ت) ص٣٠٩ وما بعدها.

- النابلسي، عبد الغني. نفحات الأزهار، القاهرة: مطبعة بولاق، ١٢٩٩هـ، ص٣ وما بعدها.

(٣٠) سركيس، يوسف اليان. معجم المطبوعات العربية والمعربة، مصر، مطبعة سركيس د.ت، ص٥١٩. انظر أيضاً:

- الزركلي، خير الدين. معجم الأعلام، بيروت: دار العلم للملايين، ط٥، ١٩٨٠م، ج٣، ص٢٤١.

(٣١) لقد ذكره حسن الربابعة علىٰ أنه مخطوط، ولكنّي وجدته مطبوعًا ومحققاً علىٰ يد: فارس أحمد العلاوي، ولؤي عبد الحكيم غنام، في جزء من كتاب:

- علاوي، أحمد. عائشة الباعونية، الدمشقية، أشهر أعلام دمشق أواخر عهد المماليك، دمشق: دار معد، ط١، ١٩٩٤م، ص١١٧-١٧٩. وقد أشار المحقق في دراسته أنّ هذا المؤلف هو أول كتب عائشة الباعونية. انظر أيضاً: الصويركي، محمد علي، عائشة الباعونية فاضلة الزمان، عمان: وزارة الثقافة، ٢٠١١م.

(٣٢) نقلاً عن: الربابعة، عائشة الباعونية شاعرة، مرجع سابق، ص٦٠. والديوان مخطوط وهناك نسخة خطية يد أحمد الماذني في شهر شعبان (١٠٣١هـ) نقلها عن النسخة الأصلية، والنسخة محفوظة في دار الكتب المصرية تحت رقم (شعر تيمور ١٢٢). وهناك مقالة عن الديوان بعنوان:

- الذهبي، ماجد، والخيمي، وصلاح. "ديوان السيدة عائشة الباعونية"، مجلة التراث العربي، دمشق، س٢، عدد٤، آذار ١٩٨١م.

(٣٣) نقلاً عن: الربابعة، عائشة الباعونية شاعرة، مرجع سابق، ص٦١. مخطوط في دار الكتب المصرية تحت رقم(٥٥٨) ورقم الميكروفيلم (٣٤٣٣٩). وقد أشار الزركلي إليه مخطوطاً، ج ٣، ص٢٤١ و لم يذكر مكانه.

(٣٤) ديوان الباعونية، مخطوط، المكتبة الظاهرية (مكتبة حافظ الأسد حالياً) (رقم١١٤٢٠عام).

(٣٥) نقلاً عن: الربابعة، عائشة الباعونية شاعرة، مرجع سابق، ص٦٢. والمجموع مخطوط تحت رقم(٣١٩)، تصوف تيمور وهو من(٢٧) ورقه بفلم عادي رقم(٤٠٥٩) ورقم(٢٦٤٥١) موجود في دار الكتب المصرية.

(٣٦) في تحقيق المورد الأهنا لفارس علاوي لا توجد هذه القصيدة بهذا الوصف الذي ذكره الدكتور ربابعة في:

- الربابعة، عائشة الباعونية شاعرة، مرجع سابق، ص٦٣.

(٣٧) ابن الحنبلي، در الحبب في تاريخ أعيان حلب، مرجع سابق، ص١٠٦٢. انظر أيضاً:

- الباعونية، فيض الفضل، مرجع سابق، ورقة(٢٢٨).

(٣٨) ابن الحنبلي، در الحبب في تاريخ أعيان حلب، مرجع سابق، ص١٠٦٢. والباعونية، فيض الفضل، المرجع السابق ورقة (٢٢٨).

(٣٩) الباعونية، فيض الفضل، مرجع سابق، ورقة(٢٢٨).

(٤٠) ابن الحنبلي، در الحبب في تاريخ أعيان حلب، مرجع سابق، ص١٠٦٢. انظر أيضاً:

- الغزي، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، مرجع سابق، ج١، ص٢٨٨.

- الباعونية، فيض الفضل، مرجع سابق، الورقة(٢٨٨)

(٤١) الباعونية، فيض الفضل، مرجع سابق، ورقه(٢٢٨).

(٤٢) الباعونية، المورد الأهنا في المولد الأسنى، مرجع سابق، ورقة(٢٩٧). قلت: لعله هو نفسه صلات السلام فهو تلخيص للقول البديع للسخاوي إذ لا يمكن أن تعمل الباعونية تلخيصين في نفس الموضوع إلا إذا افترضنا أنها أعادت التلخيص لصلات السلام بعد فقده مرة أخرىٰ والراجح أنهما شيء واحد له اسمان يطلق عليه تارة مسمىٰ الباعونية وتارة مسمىٰ السخاوي. والله أعلم.

(٤٣) دائرة المعارف الإسلامية، القاهرة: مطبعة الشعب، د.ت، ج٦، ص٩٩.

(٤٤) الباعونية، فيض الفضل، مرجع سابق، ورقه(٣٠٥). انظر أيضاً:

- ابن الحنبلي، در الحبب في تاريخ أعيان حلب، مرجع سابق، ص١٠٦١. أن اسمه « الفتح الحقي من منح التلقي » وذكر الغزي أنّ اسمه الفتح الحنفي « قلت: وهذا تصحيف واضح لا لبس فيه.

(٤٥) الغزي، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، مرجع سابق، ج١، ص٢٩١. انظر أيضاً:

- ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ج٧، ص١١٣.

(٤٦) ابن طولون، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، مرجع سابق، ج٢، ص٧٤.

(٤٧) الربابعة، عائشة الباعونية شاعرة، مرجع سابق، ص٥٧ وما بعدها.

(٤٨) العودات، القافلة المنسية، مرجع سابق، ص٤٢-٤٥.

(٤٩) تيمور، أحمد. الحبّ والجمال عند العرب، مطبعة عيسىٰ البابي وشركاه، ١٩٧١م، ص١٥٢.

(٥٠) النجار، عامر. الطرق الصوفية، مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٨م، ص١٠٧.

(٥١) الباعونية، فيض الفضل، مرجع سابق، ورقة(٩)، نقلاً عن: الربابعة، عائشة الباعونية شاعرة، مرجع سابق، ص١٨٩.

(٥٢) المرجع السابق، ورقة(١٧)، نقلاً عن: الربابعة، عائشة الباعونية شاعرة، مرجع سابق، ص١٨٩.

(٥٨) المرجع السابق، ورقة(١٧)، نقلاً عن: الربابعة، عائشة الباعونية شاعرة، مرجع سابق، ص١٩٠.

(٥٩) المرجع السابق، ص١٩٠.

(٦٠) انظر هذه التعريفات في:

- مبارك، محمد زكي. التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، بيروت: دار الجيل، د.ت، ج١، ص٥٥-٦٠.

(٦١) الباعونية، فيض الفضل، مرجع سابق، ورقة(٧٩)، نقلاً عن: الربابعة، عائشة الباعونية شاعرة، مرجع سابق، ص١٩١.

(٦٢) الجرجاني، علي بن محمد. التعريفات، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٧١م، ص٥٤.

(٦٣) الباعونية، فيض الفضل، مرجع سابق، ورقة(٧٧)، نقلاً عن: الربابعة، عائشة الباعونية شاعرة، مرجع سابق، ص١٩١.

(٦٤) المرجع السابق، ورقة(٤٧)، نقلاً عن: الربابعة، عائشة الباعونية شاعرة، مرجع سابق، ص١٩٢.

(٦٥) المرجع السابق، ورقة(٤)، نقلاً عن: الربابعة، عائشة الباعونية شاعرة، مرجع سابق، ص١٩٣.

(٦٦) المرجع السابق، ورقة(٢٤٥) نقلاً عن: الربابعة، عائشة الباعونية شاعرة، مرجع سابق، ص١٩٥.

(٦٧) المرجع السابق، ورقة(٢٦٢)، نقلاً عن: الربابعة، عائشة الباعونية شاعرة، مرجع سابق، ص١٩٦.

(٦٨) المرجع السابق، ورقة(٨)، نقلاً عن: الربابعة، عائشة الباعونية شاعرة، مرجع سابق، ص١٩٧.

(٦٩) المرجع السابق، ورقة(١٤٠)، نقلاً عن: الربابعة، عائشة الباعونية شاعرة، مرجع سابق، ص١٩٨.

(٧٠) ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب، تقديم: عبد الله العلايلي، بيروت: دار لسان العرب، مادة « قطب»، مج٣، ص١١٤.

(٧١) مبارك، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، مرجع سابق، ج١، ص٥٥-٦٠.

(٧٢) الباعونية، فيض الفضل، مرجع سابق، ورقة(١٤٠)، نقلاً عن: الربابعة، عائشة الباعونية شاعرة، مرجع سابق، ص١٩٨.

(٧٣) المرجع السابق، ورقة(١٣٩)، نقلاً عن: الربابعة، عائشة الباعونية شاعرة، مرجع سابق، ص١٩٩.

(٧٤) الغزي، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، مرجع سابق، ج١، ص٢٩١.

(٧٥) الذهبي، والخيمي، ديوان السيدة عائشة الباعونية، مرجع سابق، ص١١٢.

(٧٦) الباعونية، فيض الفضل، مرجع سابق، ورقة(١٤٢)، نقلاً عن: الربابعة، عائشة الباعونية شاعرة، مرجع سابق، ص١٩٨.

(٧٧) الذهبي، والخيمي، ديوان السيدة عائشة الباعونية، مرجع سابق، ص١١٢.

(٧٨) الباعونية، در الغائص، مخطوط ورقة(٨)، نقلاً عن: الربابعة، عائشة الباعونية شاعرة، مرجع سابق، ص١٥٤.

(٧٩) الباعونية، نفائس الغرر في مدح سيد البشر، مخطوط ورقة(٩)، نقلاً عن: الربابعة، عائشة الباعونية شاعرة، مرجع سابق، ص١٥٥.

(٨٠) الباعونية، لوامع الفتوح في أشرف ممدوح، مخطوط ورقة(٤)، نقلاً عن: الربابعة، عائشة الباعونية شاعرة، مرجع سابق، ص١٥٥.

(٨١) المرجع السابق، ص١٥٥.

(٨٢) الباعونية، المورد الأهنا في المولد الأسنى، مرجع سابق، ورقة(٣٣٥)، نقلاً عن: الربابعة، عائشة الباعونية شاعرة، مرجع سابق، ص١٥٨.

(٨٣) الباعونية، فيض الفضل، مرجع سابق، ورقة(٧٠-٧١)، نقلاً عن: الربابعة، عائشة الباعونية شاعرة، مرجع سابق، ص١٥٨.